جمعُ القرآنِ وتدوينُه
ردودٌ على شبهات معاصرة

م.د. قاسم عباس لعيبي
كلية التربية للعلوم الإنسانية / جامعة البصرة

Collecting and writing down the Qur'an
Responses to contemporary suspicions

Asst.Dr. Qasim Abbas Laibi
College of Education for Human Sciences / University of Basra
Email: Qasim.Luabi@uobasrah.edu.iq

ملخص البحث

تحظى مسألة جمع القرآن بعناية كبيرة لدى المسلمين ؛ لأنّها تتعلق بأصل وجود القرآن وصيانته من التحريف والتزييف، ومن هنا أصبحت هذه المسألة محط عناية ونقد بعض الباحثين الغربيين؛ لأنّه عن طريقها يمكن التوصل الى أبطال النص القرآني وتعرضه للتحريف كغيره من النصوص الدينية ألأخرى ، وقد كانت الوسيلة المتميزة لتحقيق هذا الهدف وجود روايات كثيرة ضمن المجاميع الروائية ، وتهدف هذه الدراسة الى رد الشبهة التي طرحها بعض الكتاب ، والتي يؤكد فيها أنّ السماء لم تكن جادة ولا مكترثة يتحويل المادة الصوتية (القرآن الشفهي) الى مادة مكتوبة ومن ثمَّ يكون نصًّا عامًّا وشاملًا لجميع الأزمنة والأمكنة، وقد أثبتنا عبر البحث خطأ هذه الفكرة وخطأ النتائج المترتبة عليها.

الكلمات المفتاحية: جمع القرآن، التحريف، المصحف العثماني، القرآن البعدي.

Abstract

he issue of collecting the Qur'an is of great importance to Muslims, because it is related to the origin of the Qur'an's existence and its preservation from distortion and forgery. Hence, this issue has become the focus of attention and criticism of some Western researchers, because through it it is possible to reach the heroes of the Qur'an text and expose it to distortion like other religious texts. The important means to achieve this goal was the presence of many novels within the fiction groups. This study aims to respond to the suspicion raised by some writers, in which it affirms that the sky was neither serious nor indifferent, transforming the audio material (the oral Quran) into written material, and then making it a general and comprehensive text for all times and places. And we have proven through research that this idea is wrong and the consequences of it are wrong.

Key words: Collection of the Qur'an, distortion, the Ottoman Qur'an, the Post Qur'an

المقدمة

تاريخ القرآن بمسائله المتعددة يحظى بعناية مضاعفة لدى الدارسين في النصوص الدينية، اذ إنها تشكل مادة مهمة لإثبات النص القرآني الذي ظفر بجميع أسباب الحفظ من التحريف والتزييف ، كما إنّها من جهة أخرى تشكل مادة دسمة لكل من أراد الطعن بالقرآن لوجود روايات في المجاميع الروائية تخالف ما أجمع عليه المسلمون ،ّ السؤال الأساسي في هذه الدراسة يدور حول إشكالية طرحها أحد الباحثين[1]، وهو: هل أن السماء (كما يسميها صاحب الكتاب) جادة في تحويل المادة الشفهية (القرآن الشفهي أو الصوتي) إلى مادة مكتوبة؟ كما يريد صاحب الإشكال نفيه؟ تكفّل البحث بالإجابة عن الأدلة التي ساقها صاحب الإشكال والردّ عليها دون الدخول في تفاصيل ثانوية أخرى في الكتاب ؛ لأنّها تتطلب دراسات مستفيضة لا يسعها هذا البحث ، وقد تضمن البحث ثلاثة مباحث: تناولنا في المبحث الأول: التدوين في النص القرآني ، وفي الثاني: التدوين في الروايات ، ثم عرجنا في المبحث الثالث على الأدلة التي ساقها المستشكل ثم الخاتمة.

المبحث الأول

التدوين في النص القرآني

المطلب الأول: القرآن والكتابة

كثيرًا ما يؤكد القرآن قضية الكتب السماوية الماضية ، وذكر أبرز صفاتها وإنّها كانت مسجلة ومدونة في قراطيس وكتب ، وأنّها لم تكن ظواهر صوتية فحسب تذهب وتتلاشى بذهاب البيئة التي كانت تحتضنها ، وقد ورد هذا الأمر في نبوة إبراهيم وموسى عليهما السلام قال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـٰذَا لَفِي الصُّحُفِ الْأُولَىٰ ۝١٨ صُحُفِ إِبْرَاهِيمَ

(١) القرآن البعدي العسر، ميثاق، . طرح الباحث ميثاق العسر هذه الإشكالية والتي تنص على أن السماء غير مكترثة ولا جادة في تحويل المادة الصوتية (القرآن الشفهي) الى مادة مكتوبة ومن ثم إبطال البعد الزماني والمكاني للقرآن وذلك في كتابه:" القرآن البعدي"دار التجديد، بيروت، ٢٠٢٠.

وَمُوسَى﴾[1]، والصَّحيفة هي التي يُكتَب فيها، والجمع صحائفُ، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِي صُحُفِ مُوسَى﴾[2]، وقال أيضًا: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ حَتَّى تَأْتِيَهُمُ الْبَيِّنَةُ رَسُولٌ مِنَ اللهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾[3]، ويتضح من سياق الآيات أنّ المقصود من الرسول: هو النبي محمد ﷺ، فضلًا عن أنّ الصحف وردت مقترنة بكلمة الكتاب في إشارة الى الكتب السماوية، قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[4]، والمقصود من الكتب السماوية السابقة هي كتب إبراهيم وموسى، والأصل في الْكِتَابَةِ: هو النّظم بالخط[5]، وقد ورد مصطلح "أهل الكتاب" في القرآن إحدى وثلاثين مرة[6]، والمقصود بالكتاب في الآية كل من له كتاب سماوي من غير المسلمين، وقد ورد في قصة موسى: ﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ وَأْمُرْ قَوْمَكَ يَأْخُذُوا بِأَحْسَنِهَا سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾[7]، وأياً كان نوع المادة المصنوعة منها تلك الألواح فلا ريب أنّ المادة السماوية كانت مسطورة على تلك الألواح، وكانت تعرض ويذكر بها بنو إسرائيل وتصل اليهم، وقد ورد في القران أنّ الكتاب الذي أنزله الله سبحانه وتعالى على موسى كان لدى اليهود في قراطيس منكرًا عليهم إخفاء بعض التعاليم، قال تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذْ قَالُوا مَا أَنْزَلَ اللهُ عَلَى بَشَرٍ مِنْ شَيْءٍ قُلْ مَنْ أَنْزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُمْ مَا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ

(١) سورة الأعلى، الآيتان :١٨ -١٩
(٢) سورة النجم ، الآية :٣٦
(٣) سورة البينة ، الآيات :١-٣
(٤) سورة التحريم ، الآية :١٣
(٥) مفردات الفاظ القرآن: مادة كتب
(٦) المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، محمد فؤاد، ٥٩٣
(٧) سورة الأعراف ، الآية :١٤٥.

اللهُ ثُـمَّ ذَرْهُـمْ فِي خَوْضِهِـمْ يَلْعَبُـونَ﴾[1]، وفـي معنـى قراطيـس قـال أبـو عـلي الفـارسي: "معنـاه تجعلونـه ذا قراطيـس أي تودعونـه إياهـا"[2] ، ولم ينكـر عليهـم أنهّـم جعلوهـا في قراطيـس، بـل أنكـر عليهـم اخفاءهـم بعضهـا ، بـل يبـدو مـن بعـض الآيـات انّ الكتـاب (التـوراة) بوصفـه كتابًـا مدونًـا كان موجـودًا عنـد اليهـود ؛ ولذلـك فقـد احتـج عليهـم النبـي ﷺ بإبـرازه وإظهـاره، قـال تعـالى: ﴿كُلُّ الطَّعَـامِ كَانَ حِـلًّا لِبَنِـي إِسْرَائِيـلَ إِلَّا مَـا حَـرَّمَ إِسْرَائِيـلُ عَـلَى نَفْسِـهِ مِـنْ قَبْـلِ أَنْ تُنَـزَّلَ التَّـوْرَاةُ قُـلْ فَأْتُـوا بِالتَّـوْرَاةِ فَاتْلُوهَـا إِنْ كُنْتُـمْ صَادِقِـينَ﴾[3]، فضـلاً عـن مصطلـح الكتـاب نجـد القـرآن الكريـم يؤكـد كثـيرًا مسـألة الكتابـة والكتـاب والقـراءة والقلـم، ومـن العجيـب أننـا نجـد أنّ هـذه المسـائل يسـتفتح بهـا في أوائـل السـور المكيـة، بـل إن أول مـا نـزل مـن القـرآن كانـت الآيـات التـي تبتـدئ بالقـراءة وتمـنّ عـلى الانسـان بـأن علّمـه بالقلـم ، ويقسـم الله سـبحانه وتعـالى بالقلـم في قولـه تعـالى: ﴿ن وَالْقَلَـمِ وَمَـا يَسْـطُرُونَ﴾[4] لمـا للقلـم مـن دور مهـم في نـشر العلـم ورقـي الإنسـان، وقـد كانـت تلـك المفـردات متداولـة في البيئـة العربيـة في ذلـك الوقـت حتـى إن المشركـين اتهمـوا رسـول الله بكتابـة القـرآن ونسـخه مـن آخريـن في قولـه تعـالى: ﴿وَقَالُـوا أَسَـاطِيرُ الْأَوَّلِـينَ اكْتَتَبَهَـا فَهِـيَ تُمْلَى عَلَيْـهِ بُكْـرَةً وَأَصِيـلًا﴾[5]، و توحيـه كلمـة أسـطورة في الآيـة إنّهـا غالبًـا مـا تكـون مدونـة رغـم أنّـه لا يشـترط فيهـا أن تكـون كذلـك، فالسـين والطـاء والـراء أصـلٌ مطّـرد يـدلّ عـلى اصطفـافِ الشـيء، كالكتـاب والشـجر، وكلّ شيء اصطَفَّ[6]، فأمـا الأسـاطير فكأنهّـا أشـياء كُتبـت مـن الباطـل فصـار ذلـك اسـمًا لهـا فهـي مخصوصـة بالباطـل ، ومـن الأدلـة عـلى أنّ مسـألة الكتابـة كانـت حـاضرة عنـد المشركـين أنهـم اقترحـوا عـلى النبـي ﷺ في مكـة أن ينـزّل عليهـم كتابًـا مـن السـماء يقرؤونـه

(١) سورة الانعام ، الآية:٩١.
(٢) مجمع البيان في تفسير القرآن، الطبرسي، فضل بن حسن، ٤ / ٩١.
(٣) سورة ال عمران ، الآية : ٩٣.
(٤) سورة القلم ، الآية :١.
(٥) سورة الفرقان ، الآية :٥.
(٦) معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، ٣ / ٧٢.

حتى يصدقوه في دعواه، وقد سجّل القرآن ذلك في قوله تعالى: ﴿أَوْ تَرْقَى فِي السَّمَاءِ وَلَنْ نُؤْمِنَ لِرُقِيِّكَ حَتَّى تُنَزِّلَ عَلَيْنَا كِتَابًا نَقْرَؤُهُ قُلْ سُبْحَانَ رَبِّي هَلْ كُنْتُ إِلَّا بَشَرًا رَسُولًا﴾[1]، ويبدو لي أنّ قضية الكتب السماوية، ومسألة التقديس لم تكن تتجسّد لدى الانسان في ذلك الوقت إلا عن طريق التدوين، ولا معنى لشيء مقدس ما لم يكن مكتوبًا، ومن المسائل التي تدل على تأثير الكتابة لدى الشرع هو أنّه أمر المسلمين بكتابة الديون لكي تحفظ الحقوق بين الناس؛ لأنّ الكتابة أدعى لحفظ الحقوق، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ﴾[2]، فالقرآن الكريم لم يغفل هذه القضية البسيطة، فأمر المسلمين بكتابة الدَيْن حتى لا يتعرض لعوارض النسيان فكيف يمكن أن تغيب الجدية في كتابة أهم مصدر لدى المسلمين دون تدوين وكتابة.

المطلب الثاني

التدوين ووظيفة النبي ﷺ

لا شك أنّ الوظيفة الأساسية للنبي ﷺ هي تبليغ الأمة وإيصال الرسالة، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾[3]، وقال تعالى: ﴿الَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾[4]، ولا شك انّ وظيفة كهذه تحتاج الى استعمال كل الوسائل من أجل الدعوة والقيام بالرسالة على أتم وجه، ولاشك أيضا أنّ المصدر الرئيس لدعوة النبي ﷺ هو القرآن الكريم، قال تعالى: ﴿وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾[5]، وقد قام رسول الله ﷺ بمهمته

(١) سورة الاسراء، الآية :٩٣.
(٢) سورة البقرة، الآية :٢٨٢.
(٣) سورة الأحزاب، الآية :٦٤.
(٤) سورة الأحزاب، الآية :٣٩.
(٥) سورة النحل، الآية :٤٤.

خير قيام حتى عاتبه الله سبحانه وتعالى على ذلك فقال: ﴿طه ۝١ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾[١] فكيف يمكن أن تغيب عن النبي وسيلة مهمة كالتدوين والكتابة وهي لا تقل منزلة عن التبليغ الشفهي في إيصال الرسالة؟ يذكر القرآن أنّ النبي ﷺ كان حريصًا جدًا على استماع الوحي وعلى حفظه، وقد سجّل هذا الحرص في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ﴾[٢]، وقد فسرّ القرآن نفسه هذه العجلة في قوله تعالى: ﴿وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾[٣]، والمعنى: لا تعجل بتلاوته قبل أن يفرغ جبرائيل عليه السلام من إبلاغه[٤]، وقد ضمن له الله سبحانه وتعالى أنّه سوف يحفظه عليه ولا ينساه بعد الإقراء قال تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[٥].

المبحث الثاني

الكتابة والتدوين في الروايات

إنّ مقولة عدم عناية السماء بتحويل النص من الشفهية الى الحالة الكتابية تسير باتجاه مضاد لما ذكرناه من شواهد القرآن النصية والشواهد الروائية، بل الأمر على العكس تماما، اذ اننا نجد حرص النبي ﷺ على تدوين النص القرآني رغم صعوبة وسائل الكتابة وندرتها في ذلك الوقت وما ذلك إلّا بسبب الأثر الكبير للكتابة في تبليغ الدعوة وذلك الحشد من الآيات التي ذكرنا بعضًا منها والتي استوحى منها النبي أهمية الكتابة في حفظ القرآن وبقائه، إن وجود كتّابٌ للوحي في زمن الرسول وكثرتهم دليل وشاهد قوي على صحة هذه الفكرة، وقد ذكر "محمود راميار" عددًا كثيرًا عدّ منهم تسعة عشر كاتبًا في مكة فقط[٦]، فضلاً عن وجود شواهد

(١) سورة طه، الآية: ٢.
(٢) سورة القيامة، الآية: ١٩.
(٣) سورة طه، الآية: ١٢٤.
(٤) مجمع البيان، الطبرسي، ٧ / ٥١.
(٥) سورة الأعلى، الآية: ٦.
(٦) تاريخ قرآن، راميار، محمود، ٢٦٣.

قوية تدل على وجود المدونات القرآنية منها : ما ورد في قصة اسلام عمر والصحيفة التي وجدها في يد اخته[١] ، وقد بلغ من حرص النبي ﷺ على القرآن والاحتياط في الكتابة أنّه نهى عن الكتابة في الرواية المشهورة: " لا تَكْتُبُوا عَنِّي وَمَنْ كَتَبَ عَنِّي غَيْرَ الْقُرْآنِ فَلْيَمْحُهُ وَحَدِّثُوا عَنِّي وَلا حَرَجَ..."[٢] ، وقد جاء في تعليل ذلك: إنما نَهَى عَنْ كِتَابَة الْحَدِيث مَعَ الْقُرْآن فِي صَحِيفَة وَاحِدَة؛ لِئَلا يَخْتَلِط، فَيَشْتَبِه عَلَى الْقَارِئ فِي صَحِيفَة وَاحِدَة وَاللَّهُ أَعْلَم [٣] ، وفي تعليم القرآن ونشره روي عن النبي ﷺ: " خَيْرُكُمْ مَن تَعَلَّمَ القُرْآنَ وعَلَّمَهُ "[٤] وقد كان النبي ﷺ حريصًا على تعلّم القرآن من قناته الأولى فكان يعجل بتحريك لسانه لحبّه إياها ، وحرصه على أخذه مخافة النسيان فنهاه الله سبحانه عن ذلك[٥].

المعارضة :

ومن شدة احتياط السماء على القرآن ، وضبطه المراجعة الدورية السنوية للقرآن مع النبي سواء كان من عند صاحب الرسالة ، أو مراجعة المسلمين بعضهم بعضًا ، أو مع الرسول ﷺ فمن الأولى ما روي عن فاطمة عليها السلام : "إن النبي ﷺ كان: " أسرَّ إليها إن جبريل كان يعارضني القرآن كل سنة مرة، وإنّه عارضني العام مرتين، ولا أراه إلّا حضر أجلي"[٦] وقد روي المعنى نفسه عن ابي هريرة قال: " يعرض على النبي صلى الله عليه وسلم القرآن كل عام مرة، فعرض عليه مرتين في العام الذي قبض فيه"[٧]، ومن الثاني أي المراجعة الدورية مع الكتاب وحفاظ المسلمين ما رواه البخاري ومسلم من طريق همام عن قتادة، عن أنس بن مالك، أنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم،

(١) الإصابة في تمييز الصحابة، العسقلاني، ابن حجر، ٨ / ٢٧١.
(٢) صحيح مسلم ، ٤/ ٢٢٩٨.
(٣) شرح النووي على صحيح مسلم، النووي، ١٨ / ١٣٠.
(٤) صحيح البخاري، ٨ / ١١٣.
(٥) مجمع البيان، ١٠ / ٦٠٠.
(٦) صحيح البخارى ٦ / ٦٣ ، البرهان في علوم القرآن، الزركشي، ١ / ٣٢٥.
(٧) صحيح البخاري، ٨ / ١٠٤.

قال لأبُي: "إنَّ الله أمرني أن أقرأ عليك"، قال: آلله سماني لك؟ قال: "الله سماك لي"، قال: فجعل أبيّ يبكي. وفي المعنى نفسه ما رواه زيد أنّه قال: كنت أدخل عليه بقطعة الكتف، أو كسرة، فأكتب وهو يملي علي... فإذا فرغت، قال: اقرأ، فأقرؤه، فإن كان فيه سقط أقامه، ثم أخرج به إلى الناس "[1] ، وقد روي أيضًا:" كنا عند رسول الله نؤلف القرآن من الرقاع"[2] يعني: يعني نكتب ما نزل من الآيات المتفرقة ونضعها في سورها ثم نجمعها معا باشارة من النبي ﷺ ، وهذا الأمر والكتابة إنّما كانت في زمن الرسول وقد كانت على أجزاء متفرقة ، وقد ورد في الروايات أنّ الامام علي عليه السلام دون القرآن كاملًا بعد وفاة النبي ﷺ، قال ابن النديم:" إن عليًا عليه السلام رأى من الناس طيرة عند وفاة النبيّ ﷺ فأقسم أن لا يضع رداءه حتى يجمع القرآن، فجلس في بيته ثلاثة أيام حتى جمع القرآن ، فهو أوّل مصحف جمع فيه القرآن من قلبه وكان هذا المصحف عند أهل جعفر"[3]

فورية الكتابة :

ومن شدة احتياط النبي على تدوين القرآن الكريم عن طريق كتّاب الوحي في وقت نزوله ؛ خوف النسيان فقد روي عن فاطمة بنت عبد الرحمن أنّها سألت عائشةَ وأرسلها عَمُّها، فقالت: إنّ أحدَ بنيك يقرئك السلام، ويسألك عن عثمان، فإنّ الناس قد شتموه فقالت: لعن الله مَنْ لعنه، فوَالله لقد كان قاعدًا عند رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلم وجبرائيل يُوحي إليه، وهو يقول له: "أكتب يا عثيم"[4].

تواتر القرآن اللفظي :

مفردة القرآن من القراءة أي التلاوة كما أنّ الكتاب من الكتابة ، وقد بلغ من شيوع القرآن وتواتره بين المسلمين حدًا كبيرًا لوجود المحفزات الكثيرة التي تشجع

(١) الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، ٢ / ٤٧٧.
(٢) الجامع الصحيح، الترمذي، ٥ / ٥٤٣.
(٣) الفهرست ،٣٠.
(٤) مسند الامام أحمد بن حنبل، ابن حنبل آحمد، ٤٣ / ٤٧٧.

على الحفظ فضلًا عن العوامل الدينية الأخرى ، فمن المحفزات التي جعلت القرآن الكريم ينتشر ويتواتر بين المسلمين ما يلي:

أنّ الوظيفة الأساسية للنبي ﷺ كانت تعليم القرآن وتبليغه للناس، وقد كان القرآن أداة رسول الله للتبليغ قال تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(١) ، وقد وردت كلمة "تلا" ومشتقاتها كثيرا في القرآن، وكانت من أعظم منن الله على هذه الأمة هو أنّها كانت المتلقية للتلاوة من عند الرسول: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾(٢)، بل جاء في بعض الآيات أنّها طلبت من المسلمين القراءة وهناك من عدّ هذا الطلب واجبًا على الأمة، قال تعالى: ﴿فَاقْرَءُوا مَا تَيَسَّرَ مِنَ الْقُرْآنِ﴾(٣) فقال: الأمر هنا "يقتضي الوجوب لأنّه أمر والأمر على الوجوب ولا موضع يلزم قراءة القرآن إلا في الصلاة فوجب أن يكون المراد القراءة في الصلاة"(٤) ، ولا يقتصر هذا الأمر على المفردات التي تدل على تأثير تلاوة القرآن وقراءته، بل إنّ المجاميع الروائية تتضمن الكثير من الروايات التي تدل على فضل القران وحامله، قال رسول الله ﷺ : "مثل المؤمن الذي يقرأ القرآن كمثل الأترجة، ريحها طيب وطعمها طيب ، ومثل المؤمن الذي لا يقرأ القرآن كمثل التمرة، لا ريح لها وطعمها حلو، ومثل المنافق الذي يقرأ القرآن مثل الريحانة، ريحها طيب وطعمها مر، ومثل المنافق الذي لا يقرأ القرآن كمثل الحنظلة، ليس لها ريح وطعمها مر"(٥).

(١) سورة الحجر، الآية :٩٥.
(٢) سورة الجمعة ، الآية :٢.
(٣) سورة المزمل ، الآية :٢٠.
(٤) الجصاص، احمد بن علي، ٥ / ٣٦٨.
(٥) صحيح البخاري، ٩ / ٣٥ ، الكليني، محمد بن يعقوب، ٢/ ٦٠٥.

المبحث الثالث

القرآن البعدي[1] والادلة المزعومة

زعم صاحب الكتاب في معرض استدلاله على أنّ السماء لم تكن مكترثة وجادة في تحويل القرآن المنطوق الى نصّ إلّا عن طريق الروايات الواردة في صحاح المسلمين وليس للقرآن في نسخته المتداولة دخل في المقام أصلا، وقد ظهر ممّا ذكرناه في المبحث الاول أنّ هذه الدعوى غير تامة؛ لأنّه بمجموع الشواهد التي ذكرناها عبر الايات القرآنية الكثيرة يحصل اطمئنان قوي بعكس هذه الفكرة تماما والذي يبدو لي أنّ احتياط الرسول ﷺ بتدوين القرآن في الفترة المكية والمدنية إنما هي ترجمة لما يريده الوحي نتيجة لتلك الارشادات؛ لأنّه من الغريب حقا أن يلتفت الرسول الى فكرة كتابة الوحي وتكليف من يقوم بهذه المهمة في العصور المبكرة من حياة الرسول دون هذا التنبيه الصادر من الآيات القرآنية، كما إننا ندّعي إنّ الاطمئنان الحاصل من هذه الآيات المذكورة أقوى بكثير من الروايات الموجودة في بطون الكتب الروائية حتى لو كانت صحيحة ؛ لكثرة المشاكل في الروايات وصعوبة الحصول على ظن معتد به يمكن التعويل عليه في مثل هذه الأمور على الرغم من إننا سرنا مع المنهج ذاته الذي سار عليه صاحب الاشكال في البحث الروائي ومن ما ذكرناه سابقا ، وفيما يلي الأدلة المدعاة:

١ – عدم الجدية وأمية الرسول :

من الادلة التي ساقها المستشكل هو عدم احراز المطابقة بين المقروء عند النبي والمدون بسبب أمية النبي ﷺ[2] ؛ لأنّه لا يستطيع قراءة المكتوب، فلا نحرز المطابقة. وهذا الدليل لا يثبت المطلوب لأنّه لا يدل على أنّ السماء لم تكن جادة في تحويل

(١) القرآن البعدي مصطلح اطلقه الكاتب على كتابه ويقصد به المصحف الذي جمعه الخليفة عثمان بن عفان ؛ لأنه جمع متأخر عن الصيغة الشفهية الصوتية التي كان الرسول ﷺ يتلو بها القرآن.

(٢) القرآن البعدي، العسر، ميثاق، ١٩.

النص الى مكتوب، لأنّ احراز المطابقة لا تقتصر على هذه النقطة، هذا إذا سلمنا ببقاء النبي ﷺ على أميته ولم يتعلم القراءة فيما بعد، أضف الى ذلك إنّ النص الذي كتبه عثمان إنّما استنسخه من المصحف الذي كان موجودا عند حفصة وهو نتيجة لعملية الجمع في عهد ابي بكر والذي قام بجمع السور التي كانت متفرقة ولم يجمعها جامع واحد ، فحتى لو قلنا إنّ النبي ﷺ لم يترك مصحفا كاملا مجموعا بين دفتين بل ترك مجموعة سور متفرقة فإنه لا يضر بصحة الجمع ، وهذه المتفرقات إنّما جمعت جمعا رسميا بتكليف الرسول لكتّاب الوحي، وإلّا لا يبقى معنى لكتّاب الوحي اذا ذهبنا الى أنّ هذه المتفرقات كانت صحفًا شخصية فإذا كان كتّاب الوحي ثقة فيما كتبوا ينتفي هذا الاشكال؛ لأنّ عدم المطابقة ترجع الى أمرين: إمّا أن يكون الكاتب غير ثقة ، أو يشتبه فيما يكتب فإذا انتفى الأمر الأول بكون الكتّاب ثقات ينتفي الاحتمال الأول ، أما الثاني فيمكن أن يتصور إذا كانت القضية تعتمد على الكتابة فقط إما اذا تعاضدت الكتابة والقراءة وكانت الثانية متواترة ، وكان الكاتب ضابطا فيما يكتب وخضعت العملية لمراجعة دورية كما نوهت الى ذلك بعض الروايات فينتفي هذا الاحتمال أيضا ؛ لأنّ الكتابة إنّما هي مجرد وسيلة لضبط المقروء ومن هنا لو أملينا على كاتب وطلبنا منه حفظه ثم عرضه علينا من حفظه ولم يخطىء في شيء منه لحكمنا بصحة الكتابة وصحة المطابقة، وهذا عين ما نحن فيه لأنّ المطابقة حاصلة بين المتلو والمكتوب بين القرآن والمصحف، فالقضية ليست إملاءً من الرسول وتدوين من كاتب الوحي حتى نقول: إنّه ربما يشتبه ، أو يزور المكتوب وإنّما هي مراجعة ومعايشة لما يقرأ باستمرار وتنقيح للمكتوب والمحفوظ عن طريق النبي ﷺ وقد ذكرنا بعض الشواهد على مراجعة النبي لقراءات الصحابة من مدوناتهم وتصحيح تلك القراءات على الرغم من كونها نصوصًا قليلة لكننا لا ندعي أنّ كل ما هو موجود قد وصل الينا في هذه المسألة.

٢- التجربة السيئة وعدم جدية السماء :

ذكر المستشكل بعض الروايات التي تدل في نظره على عدم اكتراث السماء بتحويل المادة الصوتية الى مادة مكتوبة وهي وجود بعض الروايات التي تدل على تغيير بعض كتاب الوحي لما يمليه عليهم رسول الله ﷺ منها: إنّ رجلا كان يكتب لرسول الله ﷺ فكان اذا املي عليه "سميعا بصيرا" كتب: "سميعا عليما" ... فتنصر الرجل وقال: إنما كنت أكتب ما شئت عند محمد، قال: فمات فدفن، فلفظته الأرض، ثم دفن فلفظته الأرض، فقال أنس: قال: أبو طلحة: فأنا رأيته منبوذا على وجه الأرض"[1] ، وذكر قريبا منها فيما جاء عن عبد الله بن أبي سرح، ثم خلص الى القول: وإذا كان الرسول ﷺ معتنيًا وجادا بتحويل المادة القرآنية الى مادة مكتوبة ومحررة فالمفترض به بعد هذه الحوادث أن يبادر الى تعلم القراءة والكتابة... وأنت تجد أنّه لا علاقة بين هذه الروايات – على فرض صحتها- وبين المدعى. فكثير من النصوص المهمة تتعرض لمحاولات تزوير ولكنها لا تدل على أنّ السماء غير مكترثة أو جادة بتحويلها من مادة منطوقة الى مادة مكتوبة ، ثم إنّ الرواية – إن صحت- تدل على أمر إعجازي وتدل على عكس مدعى المستشكل، لأنّ الهدف لم يتحقق فجاء العقاب قاسيا وبطريقة قاسية وغريبة، وهذا يدل على جسامة الجرم الذي اقترفه المحرِّف ، وهذا العقاب ترجمة لقوله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾[2] ، فالرواية واحدة ولا يمكن التفكيك بين أجزائها فأنت إمّا أن تصدق بها كلها أو ترفضها كلها ، أمّا أن تأخذ منها ما يلائم مدعاك وتترك بقية الرواية فهذا ليس بمنهج قويم؛ لأنّ القبول بالرواية يعني القبول بمعاقبة هذا النصراني على افترائه على كتاب الله وفي هذا دلالة على صحة هذا الكتاب ، وحفظه وحراسته من أن تناله يد التحريف بطريقة اعجازية ، فضلًا عن ذلك فإن التمسك بمثل هذه الاخبار ومخالفة ما ثبت بالدليل القاطع هو تمسك بالمتشابه مقابل المحكم.

(١) المصدر السابق، ٢.

(٢) سورة الحجر، الآية :٩.

٣- القرآن البعدي والمدونات المكية :

من الأدلة والشواهد التي ذكرها الكاتب كدليل على عدم جدية السماء في تحويل القرآن المقروء الى مصحف هو استغرابه من كيفية نقل المدونات التي كتبها النبي ﷺ من مكة الى المدينة ، وغياب الخبر الذي يدل على هذا الامر ، وكيف حمل النبي ﷺ هذا الحمل الثقيل، إذ إن القرآن المتناثر كان يُكتب على جريد النخل والرقاع والاكتاف، فكيف استطاع النبي ، أو المسلمين من نقل هذه المدونات الثقيلة في تلك الفترة ، والحقيقة إنّ هذه المسألة لا يمكن أن تكون دليلًا على المدعى أيضًا، اذ يمكن الالتزام بجدية السماء بتدوين المصحف حتى لو قلنا إنّ المدونات قد تركت في مكة بعد أن ذكرنا الشواهد الكثيرة التي تدل على تواتر القرآن حفظا عند النبي والصحابة، اذن يمكن أن يكتب مرة أخرى ولا ضير في ذلك، كما إنّ وسائل الكتابة لا تقتصر على ما ذكرها من وسائل ثقيلة كالحجر والعظام وما شابه ذلك، بل كان العرب يعرفون وسائل أخرى ذكرها القرآن في العهد المكي كالقرطاس والرق والصحف، مع أنّ الاستبعاد في نفسه غريب اذ ما المانع من نقل تلك المدونات عن طريق الصحابة من الأنصار، وقد كان هناك اتصال بينهم وبين رسول الله قبل الهجرة ، وقد كان القرآن المحور الأساسي لدعوة النبي، وما المانع من نقل تلك المدونات عن طريق المهاجرين والانصار الذين كان بينهم وبين رسول الله اتصال قبل الهجرة ولاسيما اذا اخذنا بنظر الاعتبار محورية القرآن في دعوة النبي.

٤- القرآن البعدي ونسيان النبي ﷺ :

سوف نسير مع صاحب الكتاب الى اخر استدلالاته مع أنّها لا علاقة لها بالمدعى الذي يزعمه، فمن الأدلة التي ذكرها هو نسيان النبي لآية كانت قد نزلت عليه سابقا ، فيستنتج إنّه لو كان هذا الاكتراث (جدية السماء في تحويل القران الى مصحف) لما نسى صاحب الرسالة نفسه هذه الآيات[1] ، والغريب إنّه يتمسك

(١) القرآن البعدي، ٢٥.

بروايات أفضل ما نقول فيها إنّها ظنية ويترك القرآن الذي يؤكد على عدم النسيان في تلك الموارد ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنْسَى﴾[1]،و لنفرض جدلا إنّ هذه الروايات صحيحة من حيث الدلالة والسند كيف يمكن أن نفهم منها أنّ السماء غير مكترثة بتحويل القرآن الى مادة مدونة اذ يمكن أن نلتزم أنّ الله قد أنساه تلك الآية لمصالح معينة ثم ذكره بها ، وأضعف من هذا ما ذكره خامسًا في نسيان بعض الصحابة لبعض الآيات التي قرآها النبي في الصلاة.

٥- القرآن البعدي وآية الوضوء :

ذكر الكاتب آية الوضوء والاختلاف بين المسلمين في كثير من حيثياته كما ذكرها صاحب كتاب " فصل الخطاب" ، ولا أدري ما هي علاقة اختلاف المسلمين في آية من آيات الاحكام بقضية جدية ، أو عدم جدية السماء في حفظ القرآن كتابيا، اذ الاختلاف له أسباب كثيرة ، والاختلاف لا يقتصر على قضية المكتوب فقط فوجود القرآن المرتل نفسه لا يعصم الناس من الاختلاف بل إنّ جميع الكتب السماوية قد حدث فيها الاختلاف وتباين الآراء في معانيه وهذا لا ينهض دليلا على المدعى ، والامر نفسه ينطبق على ما ذكره سابعا من اختلاف بين المسلمين في صلاة الميت فإذا عجزوا عن حفظ كيفية صلاة الميت فكيف تمكنوا من حفظ آلاف الآيات[2]، وقد سطر هذه القضية مع مجموع الأدلة على ما يريده ، مع أنّ الدعوى هي: جدية السماء أو عدم جديتها في تحويل المادة المقروءة الى مكتوبة لا استبعاد حفظ الصحابة ، ومورد النزاع هو النص القرآني لا الروايات ، مع ذلك فقد ذكرنا فيما سبق الأسباب التي أدت الى انتشار القرآن بين المسلمين متواترا.

٦- القرآن البعدي وتغير المعطيات الآنية :

ومما ذكره دليلا على مدعاه في عدم جدية السماء هو تغير القرآن تبعا للمعطيات

(١) سورة الأعلى ، الآية :٦.
(٢) القرآن البعدي ، ٣٤.

الآنية عبر بعض الروايات كما جاء في رواية البراء بن عازب أنه لما نزلت آية: ﴿لَّا يَسْتَوِي الْقَاعِدُونَ﴾ قال ابن ام مكتوم وكان خلف النبي: يا رسول الله فما تأمرني؟ فنزلت مكانها: لا يستوي القاعدون... غير أولي الضرر"[1]. وقد استنتج الكاتب بعض الملاحظات من هذه الرواية لا علاقة لها بمورد الدعوى ثم ختم قوله: اذا كانت السماء مكترثة وجادة في كتابة القرآن لبادرت لضبط النص ومراجعته بشكل نهائي"[2].

وانت تجد أيضا إنّه لا علاقة لهذه الرواية -إن صحت- بأصل الدعوى، وما الضير في نزول القرآن حسب الوقائع وأسباب النزول، بل على العكس فإنّ النزول التدريجي لأكثر من عشرين سنة أدعى لحفظه في الصدور والسطور، كما أنّ المراجعة الدورية للقرآن حاصلة كما ذكرنا سابقا، والأمر نفسه ينطبق على دليله التاسع في مسألة اقتراحات الصحابة وموافقاتهم للقرآن كما في نزول الآية: ﴿وَأَمْنًا وَاتَّخِذُوا مِنْ مَقَامِ إِبْرَاهِيمَ مُصَلًّى﴾ موافقا لاقتراح عمر في قوله لرسول الله: " لو اتخذنا من مقام إبراهيم مصلًى"[3] وأنت تجد أنّه لا علاقة لهذه المقترحات والموافقات على أصل دعواه في عدم جدية السماء هذا اذا سلمنا بصحة الروايات، كما أنّ نزول القرآن حسب النوازل والمشاكل التي يمر بها المسلمون مسلمة حتى لو نزلت الآيات طبقا لرغبات النبي ﷺ كما في قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا﴾، اذ إن رغباته لم تكن شخصية بعيدة عن الخط العام للدين فقد كان النبي ﷺ ينتظر ويتوقع ويرجو من الله أن يهديه الى قبلة تختص بالمسلمين"[4]، وأوهن من تلك المزاعم ما استدل به على مدعاه بفهم النووي لوصف القرآن بأنه: " لا يغسله الماء" عندما قال: محفوظا في الصدور" فاستدل قائلا: اذا كان الكتاب المنزل

(١) القرآن البعدي، ٣٥.
(٢) المصدر نفسه، ٣٨.
(٣) المصدر نفسه، ٣٩.
(٤) الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين، ١ / ٣٢٥.

على محمد بن عبد الله ﷺ لا يغسله الماء فمعنى ذلك إنه لم يكن كتابا ورقيا مكتوبا[١] يعني: إنه استدل برواية معتمدا على فهم النووي، ومستنبطا منها: إنّ القرآن لم يكن مكتوبًا ، وأتصور إنّه ما سلك هذا الاسلوب في الاستدلال إلّا من ضيق الخنا ؛، لأنّه لو كان لديه أدلة قوية لجاء بها لتعضيد مقولته في عدم جدية السماء.

٧-القرآن البعدي والنزول التدريجي :

وأغرب الادلة المدعاة على أصل الدعوى هو جعل النزول التدريجي علامة مؤيدة على عدم جدية السماء ، وعدم اكتراثها في تحويل الملفوظ الى مقروء[٢]، مع أنّ تدريجية النزول من أقوى الادلة على حفظه تلاوة وكتابة ؛ لأنّه يعطي فسحة للمسلمين في فهمه ، وحفظه في الصدور ، وفي السطور خلافا فيما لو نزل دفعة واحدة، وهذا شبيه بالإشكالية التي أوردها مشركو مكة على النبي بعدم نزول القرآن دفعة واحدة في قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا﴾ ، والجواب على ذلك يلخصها الطباطبائي في تفسيره قائلا: " ومن هنا يظهر أنّ إلقاء أي نظرة علمية عند مسيس الحاجة وحضور وقت العمل إلى من يراد تعليمه وتربيته ، أثبت في النفس وأوقع في القلب ، وأشد استقرارا، وأكمل رسوخا في الذهن "[٣].

٨-القرآن البعدي وجهل النبي بالكتابة :

يربط الكاتب بين عدم جدية السماء في تحويل القرآن الى مكتوب ، وبين عدم قدرة النبي ﷺ على الكتابة قائلًا: " كيف يمكن لنا أن نفترض أنّ له قدرة مراجعة الآلاف من الآيات المكتوبة وتصحيح أخطاء كتاب الوحي المحتملة"[٤]، وقد تكرر هذا الاشكال في النقطة الأولى وقد أجبنا عنه ، وقد ذكرنا إنّ النبي ﷺ وأصحابه لم

(١) القرآن البعدي، ٤٢.
(٢) القرآن البعدي ، ٤٣.
(٣) الميزان في تفسير القرآن، ١٥ / ٢١١.
(٤) القرآن البعدي، ٤٥.

يكن لهم شغل إلّا القرآن وتبليغه وحفظه والعمل به لاكثر من عشرين سنة ، فقضية تواتره محفوظا ومسطورا بينهم تنسجم مع الواقع الذي كانوا يعيشونه فالاستبعاد هو الغريب وليس العكس.

هذه مجمل الادلة التي ذكرها على عدم جدية السماء في تدوين القرآن، ثم عنون الفصل الرابع تحت عنوان: " منبهات على عدم الجدية" وأنت عندما عرفت مستوى قوة الادلة التي ذكرها على المدعى تعرف قيمة المنبهات ، والغريب حقًّا هو الجرأة على طرح اشكالات كبيرة بهذا المستوى من الأدلة وقد عرفت قيمتها.

الخاتمة

١- تبين ممّا تم طرحه في المبحث الأول منزلة الكتابة في القرآن الكريم ، وسنة الانبياء السابقين في توريثهم كتبًا مدونة تتضمن تعاليمهم وارشاداتهم ، فضلًا عن ذكر وسائل الكتابة كالقلم والصحف في القرآن الكريم ، وفي أوائل السور التي تشكّل مؤشرا قويا للنبي على مطلوبية الكتابة والتدوين كوسيلة أخرى لحفظ النص القرآني.

٢- كثرة كتّاب الوحي في الفترة المكية والمدنية وفي بيئة بدوية يصعب وجود من يتقن القراءة والكتابة شاهد قوي على جدية السماء في تحويل المادة المقروءة الى نصوص مكتوبة.

٣- الاشراف السماوي في المراجعة الدورية السنوية ، ومراجعة المسلمين لنصوص القرآن عبر عرض المحفوظ والمكتوب شاهد قوي على جدية السماء في تسجيل هذه المحفوظات والمدونات في كتاب كوسيلة في زيادة الاحتياط.

٤- تبين في ضوء ما تم عرضه من أدلة على عدم جدية السماء في تحويل المادة الصوتية الى مادة كتابية بأنّها أجنبية عن المدعى وأنها لا تدل على المطلب.

المصادر والمراجع

١. القرآن الكريم

٢. الاتقان في علوم القرآن، السيوطي، جلال الدين، دار الكتاب العربي، بيروت.

٣. أحكام القرآن، الجصاص، أحمد بن علي، دار أحياء التراث العربي، بيروت، ط١.

٤. الاصابة في تمييز الصحابة، ابن حجر، احمد بن علي بن حجر العسقلاني، دار الكتب العلمية، بيروت، ط١، ١٤١٥ هـ.ق.

٥. البرهان في تفسير القرآن ، الزركشي، محمد بن عبد الله، دار المعرفة.

٦. تاريخ قرآن،راميار، محمود، أمير كبير.

٧. الجامع الصحيح، الترمذي، محمد بن عيسى، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٩.

٨. صحيح البخاري، البخاري، محمد بن اسماعيل، وزارة الأوقاف، مصر.

٩. صحيح مسلم بشرح النووي، ابو زكريا يحيى بن شرف، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط٢، ١٣٩٢ هـ.ق.

١٠. صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج، دار الحديث، القاهرة، ١٤١٢ هـ.ق.

١١. الفهرست ،ابن النديم، محمد بن إسحاق، دار المعرفة، بيروت، ط١،

١٢. القرآن البعدي، العسر، ميثاق، دار التجديد،لبنان، ط١، ٢٠٢٠.

١٣. الكافي، الكليني، محمد بن يعقوب، دار الكتب الاسلامية، طهران، ١٤٠٧هـ.ق.

١٤. المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم، عبد الباقي، محمد فؤاد، دار الحديث، القاهرة، ١٣٦٤ هـ.ق.

١٥. معجم مقاييس اللغة، ابن فارس، أحمد بن فارس، مكتب الاعلام الاسلامي، قم، ط١، ١٤٠٤ هـ.ق.

١٦. الميزان في تفسير القرآن، الطباطبائي، محمد حسين ، مؤسسة الاعلمي، بيروت، ط٢، ١٤٠٢ هـ.ق.

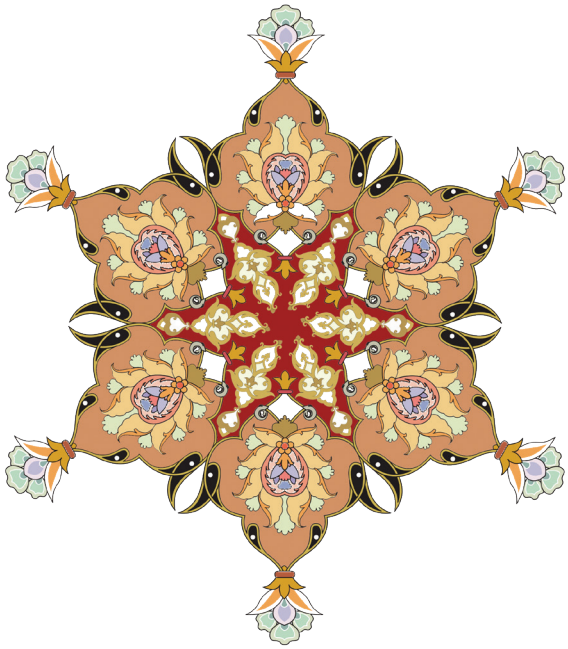

إنما يريد الله ليذهب
عنكم الرجس أهل البيت
ويطهركم تطهيرا